المجوس الثلاثة

للكاتب الالماني فلفغانغ بورشارت

(كما تخيلهم الكاتب الالماني فلفغانغ بورشارت)

تحسس طريقه بين البيوت المتداعية في الضاحية المظلمة ، في ليلة غاب قمرها ونجومها . وقد فزع رصيف الشارع من خطاه في هذه الساعة المتأخرة . اعترضه لوح من الخشب قديم ، داس عليه بقدمه فتنهدت قطعة منه بصوت عليل وانكسرت . كانت هشة تنبعث منها رائحة حلوة . وخلال الضاحية المظلمة تحسس طريقه عائدا .

* * *

عندما فتح الباب ـ وقد ناح الباب اثناء فتحه ـ قابلته عينا زوجته الزرقاوان تطلان من وجهها المتعب . لقد تجمدت انفاسها في الغرفة لشدة برودتها . احنى ركبة برزت عظامها وكسر قطعة الخشب، فتنهدت وانبعثت في الغرفة رائحة حلوة . ثم رفع قطعة منها نحو انفه وضحك قائلا :

ـ رائحتها تشبه رائحة الكيك !

بينما اجابت عينا الزوجة :

ـ صه ! لا تضحك ! انه نائم .

وضع الرجل قطعة الخشب ذات الرائحة الحلوة في موقد الصفيح فاشتعلت وبعثت بحفنة من الضوء الدافيء خلال الغرفة ، سقطت على وجه صغير مستدير واستقرت عليه لحظة . جاء هذا الوجه الى الدنيا قبل ساعة . وجه كامل ، له اذنان وانف وفم وعينان . ولا بد ان تكون العينان واسعتين مع انهما ما زالتا مغمضتين . واما الفم فهو مفتوح ينبعث منه النفس بهدوء . والانف احمر والاذنان ايضا .

ـ انه حي . فكرت الام . بينما كان الوجه الصغير نائما .

ثم قال الرجل :

هنا شيء من الشريد .

فاجابت الزوجة :

ـ حسنا البرد شديد .

فتناول عودا اخر من الحطب الهش الحلو وهو يفكر :

ـ والان ولدت طفلها ولا يوجد ما تتدفأ به .

ولكن لا يوجد امامه من هو مسؤول عن هذا ليهوي بقبضته على وجهه . وعندما فتح الموقد سقطت حفنة اخرى من النور على الوجه النائم . وهمست المرأة :

ـ انظر ! كان النور هالة تحيط بوجه قديس !

ـ هالة ! تحيط بوجه قديس ! ولكن ليس امامه من يصفعه على وجهه .

* * *

وهنا ارتفعت اصوات وراء الباب .

ـ رأينا النور ينبعث من الشباك . نريد ان نستريح هنا بضع دقائق .

ـ ولكن عندنا طفل !

ـ ولم يجب احد منهم ، بل دخلوا الغرفة بخطوات حذرة ـ تخرج انفاسهم ضبابا من انوفهم ـ

ـ لن نزعجكم . همسوا بذلك وتقدموا بحذر .

كانوا ثلاثة بملابس عسكرية رثة . يحمل احدهم علبة صغيرة من المقوى بينما يحمل الثاني كيسا . اما الثالث فكان مبتور اليدين.

رفع الثالث ساعديه المبتورين قائلا :

ـ تجمدت من البرد .

ثم ادار جيوب معطفه لصاحب البيت .

كان فيها تبغ وورق لف سجاير ، فاخذ كل منهم يلف لنفسه سيجارة .

اما المرأة فقالت :

ـ لا ! لا تفعلوا هذا . الطفل !

فتركوا الغرفة ، وقد بدت سجائرهم اربع بقع في الظلام .

كانت قدما احدهم ضخمتين مضمدتين . اخرج قطعة خشب من كيس وقال :

ـ حمار ، اشتغلت بحفرة سبعة اشهر . انه للطفل ، قال ذلك ثم قدمه للرجل . فسأله هذا :

ـ وما بال قدميك ؟

ـ ماء . من الجوع .

ثم سأل صاحب البيت متحسسا الحمار الخشبي في الظلام :

ـ والاخر ؟ الثالث ؟ وكان الثالث يرتجف في ملابسه العسكرية. فهمس :

ـ لا شيء ذابال . انها الاعصاب . من شدة الخوف . ثم اطفأوا سجائرهم باقدامهم ودخلوا الغرفة وتقدموا بحذر ونظروا الى الوجه الصغير النائم .

اخرج الزائر المرتجف قطعتين من الملبس الاصفر وقال :

ـ هذه للمرأة .

اما المرأة ففتحت عينيها الزرقاوين بجزع عندما رأت الثلاثة ينحنون فوق الطفل . ولكن الطفل رفع ساقه الى صدورهم وصرخ بشدة حتى ان الثلاثة تراجعوا نحو الباب . ثم احنوا رؤوسهم مودعين وخرجوا الى الظلام .

تابعهم الرجل بنظره ثم تمتم :

ـ ما اغربهم من ثلاثة !

ثم اغلق الباب ونظر الى الشريد . ولكن ليس امامه وجه يهوي عليه بقبضتيه .

بينما همست المرأة باعجاب .

ـ ولكن الطفل صرخ بشدة ! ٠الان قد ذهبوا .انظر كم هو مليء بالحياة .

ثم فتح الطفل فاه وصرخ.

ـ هل يبكي ؟

ـ لا ، اظنه يضحك .

اجابت المرأة .

* * *

ـ رائحته تشبه رائحة الكيك .. قال الرجل وهو يشم الحطب. يشبه الكيك ، حلو .

ـ طبعا فاليوم عيد الميلاد . اجابت المرأة .

فزمجر الرجل :

ـ نعم عيد الميلاد .

وسقطت من الموقد حفنة من النور على الوجه الصغير النائم.

ميونخ (المانيا) ترجمة وداد قسوس